

المنهجُ القرآنيُّ في تنمية الإنسانِ

التربيةُ العباديةُ أُمُودجاً

Quranic Approach in Developing Man
-Worshipping Education as a Nonpareil -

م. د. كاظم حسن جاسم الفتلاوي

Lectur. Dr. Kadhim Hassan Al-
Fatlawi

المنهجُ القرآنيُّ في تنمية الإنسان
التربيةُ العباديةُ أُنموذجاً

**Quranic Approach in Developing Man
-Worshipping Education as a Nonpareil –**

م. د. كاظم حسن جاسم الفتلاوي
جامعة كربلاء / الكلية التربوية المفتوحة /
قسم التربية الاسلامية

Lectur. Dr. Kadhim Hassan Al-Fatlawi
University of Karbala / Open
Educational College / Department of
Islamic Education

kadimey2018@gmail. com

تاريخ الاستلام: ٢٠١٨/١١/١٥

تاريخ القبول: ٢٠١٨/١١/٣٠

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي
Turnitin - passed research

Abstract

The paper aims to identify the Quran speech as a methodology to build man. Here worshipping adjusts the human's behavior which used to be in a complete darkness to righteousness , saves man from all forms of abomination and sets the Glorious Quran as a way from him. Through worship, man guides himself to know his Creator, sanctify Him and obey his orders. Moreover, it shields man from traditions and customs already established in his life. That is why it is for the specialized scholars the noblest feature of the creatures. As such , it journeys in the life of prophets from Adam through Moses and Jesus to our noblest prophet.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا معبودَ سواه، وأتمَّ صلواته وأزكى سلامه على الرحمة المُهداة سيِّدنا محمدٍ رسول الله، وآله الميامينَ الهداة..

وبعد.. فقد جاء القرآن الكريم خطاباً إلهياً خاتماً وعلى يدي النبي الخاتم، فهو رسالة الله الأخيرة إلى البشر، وهذا ما أفضى - بطبيعة الحال - إلى أن يكون منهجاً شاملاً لمختلف جوانب الوجود، وسائر نواحي الحياة، فيه يجد الإنسان أسسَ علاقته مع ربه - عزَّ وجلَّ -، وآفاق علاقته مع الكون والوجود، وأطر علاقته مع نفسه، وضوابط علاقته وصلواته مع أبناء نوعه على مستوى الأسرة والمجتمع.

وقد كان للبناء الديني بشتى مستوياته - عقيديةً وفكريةً وعباديةً وأخلاقيةً وسلوكيةً - منزلةٌ كبرى ومكانةٌ عظيمة في أولويات المنهج القرآني في تنمية الإنسان وتطويره؛ ذلك أنه [أي البناء العبادي] يمثل البناء التحتي الذي منه تنبثق سائر مظهرات حياة الإنسان، وعليه تنبني مختلف بناءاته وأفعاله وسلوكياته ونمط تفكيره وتعاطيه مع الأشياء.

وللتربية العبادية - من بين مظاهر البناء الديني - أولويةٌ سابقة ومنزلةٌ عليا لا يُضاهيها في الأهمية إلا البُعد العقائدي؛ إذ بوساطة العبادة ينطلق الإنسان صوب خالقه وينفتح على آفاق الوصال والقرب، وبها ومن خلالها يعرف العبد كيف ينظّم ارتباطه بربه، وكيف يعكس إيمانه به واعتقاده بربوبيته في طقوسٍ وأفعالٍ عبادية.

بيد أن للمستوى العبادي في المنظور القرآني آثاراً تتجاوز حدود العلاقة بين الله تعالى والإنسان، فلها أبعادٌ وتمثلات على أصعدة مختلفة في حياة الإنسان وسعادته - سواءً على مستوى الفرد أم المجتمع -، وتلمساً لهذه الأهمية جاء هذا البحث بعنوان

(المنهج القرآني في تنمية الإنسان - التربية العبادية أنموذجاً -)، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في ثلاثة مطالب: الأول (منزلة العبادة في المنهج القرآني)، والمطلب الثاني: (مقتضيات التربية العبادية في المنهج القرآني)، والمطلب الثالث: (أثر العبادة في تنمية الإنسان في المنهج القرآني)، تتلوها خاتمة ترصد أهم النتائج المستخلصة من البحث، وقائمة بمصادر البحث ومراجعته ..

راجين الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا تدبر كتابه العزيز، وأن يزيدنا فيه فهماً وبصيرةً ووعياً، وأن يكون قدوتنا في أقوالنا وأفعالنا وسلوكياتنا، والحمد له سبحانه أولاً وآخراً.

المطلب الأول: منزلة العبادة في المنهج القرآني:

العبادة هي الغاية المحبوبة والمرضية لله تعالى، التي خلق الخلق من أجلها كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١)، وبها أرسل الرسل جميعاً، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾^(٣)، وجعل ذلك لازماً لرسوله إلى الموت كما قال تعالى: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾^(٤)، فهذا أمر بانتهاج منهج التسليم والطاعة والقيام بلوازم العبودية والصبر على الطاعة وعن المعصية حتى يدرك الموت وينزل عليك عالم اليقين^(٥)، ويقول الألويسي: (والمعنى دُم على العبادة ما دمت حياً من غير إخلال بها لحظة)^(٦).

وبالعبادة وصف الله ملائكته، فقال تعالى: ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾^(٧). فهؤلاء الملائكة وكل من عند الله تعالى لا يفترون عن عبادته سبحانه بخلاف بعض بني البشر ممن عصي

الله تعالى، فيعرض القرآن المجيد (لهم نموذجاً من نماذج الطاعة في مقابل عصيانهم وإعراضهم، نموذجاً ممن هم أقرب منهم إلى الله، ومع هذا فهم دائبون على طاعته وعبادته، لا يفترون ولا يقصرون)^(٨).

وقد نعت الله صفوة خلقه بالعبودية، فقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾^(٩)، يقول الرازي: (واعلم أنه سبحانه خص اسم العبودية بالمشتغلين بالعبودية، فدل ذلك على أن هذه الصفة من أشرف صفات المخلوقات)^(١٠).

ومن شرف العبودية أن المسيح ﷺ أول من نطق ووصف نفسه بها قال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾^(١١). ولشرف هذا الانتساب لعيسى ﷺ صار (سبباً لطهارة أمه، ولبراءة وجوده عن الطعن، و صار مفتاحاً لكل الخيرات، ودافعاً لكل الآفات، وأيضاً لما كان أول كلام عيسى ذكر العبودية كانت عاقبته الرفعة، كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا﴾^(١٢)، والنكته أن الذي ادعى العبودية بالقول رفع إلى الجنة، والذي يدعيها بالعمل سبعين سنة كيف يبقى محروماً عن الجنة)^(١٣).

ومن شرف العبودية أن الله تعالى نعت الحبيب محمد ﷺ بالعبودية في أكمل أحواله في أعلى مقامات المعراج، فقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾^(١٤)، وهذا أشرف ما ينسب إليه إنسان، وأرقى ما يصل إليه من السمو والدرجات العالية في حضرة رب الأرباب، فكانت هذه الآية الكريمة مدحاً وتشريعاً له ﷺ، يقول الرازي: لما وصل محمد ﷺ إلى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في هذا المعراج أوحى الله تعالى إليه: يا محمد بم أشرفك؟ قال: (يارب بأن تنسبني إلى نفسك بالعبودية) فأنزل الله فيه ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾^(١٥). (ولولا أن العبودية أشرف المقامات، وإلا لما وصفه الله بهذه الصفة في أعلى مقامات المعراج)^(١٦).

بل إن المنظور القرآني ينص على أن صفة العبودية عامة لجميع الخلق كما تقدم؛

لذا كان جميع بني الإنسان متشرفين بهذه الصفة، والإنسان هو الذي يحافظ على هذا التشريف وسمته أولاً، وهذا ما نلاحظه لما قال الشيطان فيما حكى الله تعالى عنه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١٧)، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(١٨). فسبحانه وتعالى نعت بلفظ (عبادي عامة الإنسان، وإن الاستثناء في قوله: ﴿مَنِ اتَّبَعَكَ﴾ متصل لا منقطع)^(١٩)، فليس لإبليس سلطان على عبيد الله تعالى سواء كانوا مخلصين أو لم يكونوا مخلصين، بل من اتبع باختياره صار متبعاً له.

فإطلاق لفظ العبودية مضافاً إليه ومنسوباً لذاته المقدسة مما يفخر به الإنسان الصالح العارف معنى هذا النعت، وتميزه بالعزة لهذا الانتساب وشرفه، وهو ما يوضحه الإمام علي عليه السلام في مناجاته مع الله تعالى، إذ يقول: (كفى بي فخراً أن أكون لك عبداً، وكفى بي شرفاً أن تكون لي رباً، اللهم إني وجدتك إلهاً كما أردت فاجعلني عبداً كما أردت)^(٢٠)، فهذا الانتساب يوضح مكانة العبادة في الدين الإسلامي، وإتمامها يتشرف بها الإنسان كما تبين ذلك.

المطلب الثاني: مقتضيات التربية العبادية في المنهج القرآني:

ليست العبادة مطلق التذلل والخضوع للرب {كيفما أراد العبد، إنما لها مقتضيات وتوابع عملية شرعها الله سبحانه وتعالى يجب التقيد بها. فكما أن أصل وجوب العبادة مشرّع منه تعالى، فإن تفاصيلها وصورها منصوصة شرعاً كذلك. ولعل أهم هذه المقتضيات هي:

١. الالتزام بما شرع الله تعالى ورسوله ﷺ من الأوامر والنواهي والتحليل والتحریم؛ لأن ذلك كله من مقتضى الخضوع لله سبحانه والطاعة له ولرسوله ﷺ، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٢١). وقوله

تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ (٢٢)، والأنبياء ﷺ عباد الله ورسله إلى خلقه، وعلى الناس الالتزام بما شرع من طريقهم ﷺ وعدم الامتناع (٢٣).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٢٤)، يقول الألوسي: (أي ألزموا طاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ المبعوث لتبليغ أحكامه إليكم في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه أيضاً،...، وأعاد الفعل - أطيعوا - وإن كانت طاعة الرسول مقترنة بطاعة الله تعالى اعتناءً بشأنه ﷺ وقطعاً لتوهم أنه لا يجب امتثال ما ليس في القرآن وإيداناً بأن له ﷺ استقلالاً بالطاعة لم يثبت لغيره) (٢٥)، لكونه ﷺ معصوماً، وبهذا تكون (إطاعته مطلقة غير مشروطة بشرط، ولا مقيدة بقيد، وهو الدليل على أن الرسول لا يأمر بشيء، ولا ينهى عن شيء يخالف حكم الله في الواقعة، وإلا كان فرض طاعته تناقضاً منه تعالى وتقدس ولا يتم ذلك إلا بعصمة فيه ﷺ) (٢٦)، ومن ثم تنسحب هذه الطاعة إلى كل معصوم، وحكم أولو الأمر في الطاعة حكم الرسول ﷺ على ما تدل عليه الآية، وعدم التقييد في هذه الطاعة دليل على وجود العصمة فيهم.

يقول السيد محمد حسين الطباطبائي: (إن المراد بأولي الأمر في الآية رجال من الأمة حكم الواحد منهم في العصمة وافتراس الطاعة حكم الرسول ﷺ، وهذا مع ذلك لا ينافي عموم مفهوم لفظ أولي الأمر بحسب اللغة، وإرادته من اللفظ، فإن قصد مفهوم من المفاهيم من اللفظ شيء وإرادة المصداق الذي ينطق عليه المفهوم شيء آخر وذلك كما أن مفهوم الرسول معنى عام كلي وهو المراد من اللفظ في الآية، ولكن المصداق المقصود هو الرسول محمد ﷺ) (٢٧).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾

(٢٨) وذهب ابن عاشور إلى أن طاعة الرسول ﷺ هنا متمثلة فقط في أحكام الدين وما يبلغ به من الله تعالى، وأما غيره مما لا يدخل في أمر التشريع فطاعته غير ملزمة ﷺ، فيقول: (فطاعة الرسول ﷺ التي أمروا بها هي امتثال ما أمر به ونهى من أحكام الدين، وأما ما ليس داخلاً تحت التشريع فطاعة أمر الرسول ﷺ فيه طاعة انتصاح وأدب) (٢٩). ويرى الباحث أن طاعة الرسول ﷺ واجبة في كل الموارد بلا فرق، فهو ﷺ ما دام لا ينطق إلا بالوحي كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٣٠). وهذا إطلاق على أن كل ما يتكلم به النبي ﷺ هو من عند الله سبحانه، فالآية مطلقة في دلالتها.

يقول السيد الطباطبائي: إن الآية (تدل على إيجاب طاعة الله سبحانه فيما نزل من الكتاب وشرع من الحكم، وإيجاب طاعة الرسول فيما بلغ عن الله سبحانه، وفيما يصدر من الأمر من حيث ولايته على المؤمنين في المجتمع الديني، أو على تحذير المؤمنين من إبطال أعمالهم بفعل ما يوجب حبط أعمالهم) (٣١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٣٢)، إن هذا الجزء من الآية وإن كان قد نزل بشأن بني النضير إلا أن محتواها حكم عام في كل المجالات، ودليل واضح على حجية سنة الرسول ﷺ، وهذه قاعدة مهمة في الدستور الإسلامي، يقول سيد قطب: (فسلطان القانون في الإسلام مستمد من هذا التشريع الذي جاء به الرسول ﷺ قرآناً أو سنة، والأمة كلها والإمام معها لا تملك أن تخالف عما جاء به الرسول، فإذا شرعت ما يخالفه لم يكن لتشريعها هذا السلطان، لأنه فقد السند الأول الذي يستمد منه السلطان، وهذه النظرية تخالف جميع النظريات البشرية الوضعية، بما فيها تلك التي تجعل الأمة مصدر السلطان، بمعنى أن للأمة أن تشرّع لنفسها ما تشاء، وكل ما شرعه فهو

ذو سلطان، فمصدر السلطان في الإسلام هو شرع الله الذي جاء به الرسول ﷺ والأمة التي تقوم على هذه الشريعة، وتحرسها وتنفذها، والإمام نائب عن الأمة في هذا، وفي هذا تنحصر حقوق الأمة، فليس لها أن تخالف عما أتاه الرسول في أي تشريع^(٣٣). ونهاية الآية تحذير شديد لمن رام مخالفة أوامر الرسول ﷺ، فالأمة ملزمة بإتباع التعاليم المحمدية وهي بطبيعتها طاعة لله تعالى في جميع المجالات العبادية أو مسائل الحكومة الإسلامية.

٢. حب الله تعالى ورسوله ﷺ: تتضمن العبادة لله إلى جانب الخضوع له سبحانه والذل لعظمته الحب له ولرسوله ﷺ الكرام ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣٤).

يقول السيد الطباطبائي: (الحب الذي هو بحسب الحقيقة الوسيلة الوحيدة لارتباط كل طالب بمطلوبه وكل مرید بمراده، إنما يجذب المحب إلى محبوبه ليجده ويتم بالمحوب ما للمحب من النقص، ولا بشرى للمحب أعظم من أن يبشر أن محبوبه يحبه وعند ذلك يتلاقى حبان ويتعكس دلالان)^(٣٥).

وفي هذا الربط الوثيق بين الإيمان والحب، قال النبي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله، والناس أجمعين)^(٣٦). وفي هذا حديث آخر أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب قال للرسول ﷺ: (يا رسول الله، والله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي)، فقال النبي ﷺ: (لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك)^(٣٧)... وفي تأكيد آخر على أن من مقتضيات العبادة حب الله تعالى ورسوله ﷺ الكرام، يقول الحبيب محمد ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهلي أحب إليه من أهله، وعترتي أحب إليه من عترته، وذريتي أحب إليه من ذريته)^(٣٨).

وكذلك نلاحظ حب النبي وآله في حديث النبي ﷺ المروي عن الإمام جعفر

الصادق عليه السلام، أنه قال: (إني شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاؤوا بذنوب الدنيا، رجل نصر ذريتي، ورجل بذل ماله لذريتي عند المضيق، ورجل أحب ذريتي باللسان وبالقلب، ورجل يسعى في حوائج ذريتي إذا طردوا أو شردوا) (٣٩).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (٤٠). وقد ذكر الطبري وجوهاً لتفسير هذه الآية نختار منه ما رواه عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام عندما جيء به (أسيراً، فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام، فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم، وقطع قربي الفتنة، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أقرأت آل حم؟ قال: قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم، قال ما قرأت ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾؟ قال: وأنكم لأنتم هم؟ قال: نعم) (٤١).

ويقول البغوي (ت ٥١٠هـ) وهو في معرض الدفاع عن الآية والرد على القائلين بأنها منسوخة: (وهذا قول غير مرضي، لان مودة النبي ﷺ، وكف الأذى عنه، ومودة أقاربه، والتقرب إلى الله بالطاعة، والعمل الصالح من فرائض الدين) (٤٢).

ويقول الآلوسي في تفسير الآية: (والخطاب على هذا القول لجميع الأمة لا للأنصار فقط، وإن ورد ما يوهم ذلك فإنهم كلهم مكلفون بمودة أهل البيت) (٤٣)، ويضيف (وكلما كانت جهة القرابة أقوى كان طلب المودة أشد، فمودة العلويين الفاطميين ألزم من محبة العباسيين على القول بعموم القربى، وهي على القول بالخصوص قد تتفاوت أيضاً باعتبار تفاوت الجهات والاعتبارات وآثار تلك المودة التعظيم والاحترام والقيام بأداء الحقوق أتم القيام، وقد تهاون كثير من الناس بذلك حتى عدوا من الرفض السلوك في هاتيك المسالك، وأنا أقول قول الشافعي:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي (٤٤).

وفي بيان تنمة الآية: ﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾

يقول الألويسي: (وحب آل الرسول ﷺ من أعظم الحسنات، وتدخل في الحسنة هنا دخولاً أولياً، (نزد له فيها)، أي في الحسنة (حسناً) بمضاعفة الثواب عليها فإنها يزداد بها حسن الحسنة) (٤٥).

وقد أورد جملة من المفسرين حديث النبي ﷺ في تأكيده حب آل، وأوردوه إيراد المسلمات، وهو قوله ﷺ: (من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يُزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فُتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة) (٤٦).

فالآية إنما تشدد على مودة آل محمد ﷺ وهي - هذه المودة - أجر رسالة النبي ﷺ بأمر القرآن الكريم، فنفع هذه المودة موصل إلى عبادة الله تعالى، وذلك لأتمها (استمرار خط رسالة النبي الكريم بواسطة القادة الإلهيين وخلفائه المعصومين الذين كانوا جميعهم من عائلته، ولكن لأن المودة هي أساس هذا الارتباط نرى أن الآية أشارت بصراحة إلى ذلك) (٤٧).

ولهذا تستلزم هذه المحبة موافقة الله تعالى والرسول ﷺ فيما أحباه، وفيما أبغضاه، ولا تتحقق العبودية إلاً بذلك لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَحْشُونَ كَسَادَهَا

وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ
اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٤٨﴾.

٣. إنَّ العبادة ترجع فائدتها للعباد من المكلفين؛ لأنَّ الله تعالى غني عن العالمين لا
تنفعه طاعة، ولا يضره إعراض المعرضين. وقد جاءت العبادات معللةً بذلك، مثل
قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾^(٤٩) فهو سبحانه لم يأمرهم بالعبادة لاحتياجه إليها، بل إنَّ منفعة العبادة
عائدة إلى الإنسان^(٥٠). يقول السيد الشهيد محمد باقر الصدر: (إنَّ كل عمل من أجل
الله فإنَّها هو من أجل عباد الله؛ لأنَّ الله هو الغني عن عباده، ولما كان له الحق المطلق
فوق أي حد، وتخصيص لا قرابة له لفئة ولا تحيز له إلى جهة، كان سبيله دائماً يعادل من
الوجهة العملية سبيل الإنسانية جمعاء، فالعمل في سبيل الله، ومن اجل الله هو العمل
من أجل الناس ولخير الناس جميعاً، وتدريب نفسي وروحي مستمر على ذلك)^(٥١).

وقال تعالى على لسان نبيه سليمان عليه السلام: ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ
أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾^(٥٢)، فهذه النعم
التي ينعم بها الله تعالى على الإنسان هي ابتلاء في تحديد موقفه من الله تعالى، فإن شكر
الإنسان هذه النعم كان مردود هذا الشكر إلى الإنسان، وإن عصى وجحد النعم
فهذا مردود عليه أيضاً، وإن كان من الناس من يحسب أنَّ عبادة الشكر عبارة عن
لقلقة لسان أو لوحة يخط عليها ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾ وما شابه ذلك، بل هي عبادة
واسعة لجميع جوارح الإنسان في هذه الحياة، يقول الشيخ الشيرازي: (وبالرغم من
أنَّه أعتد كتابة هذه العبارة المهمة ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾ من قبل المتظاهرين بالشكر
على أبواب قصورهم (الطاغوتية) دون أن يعتقدوا بذلك أو يكون أدنى أثر من هذه
العبارة في عملهم.. إلا أنَّ المهم هو أن تكتب على الباب وعلى جبين حياة الإنسان

وفي قلبه.. أيضاً، وأن يكشف عمله أن كل ذلك من فضل الله.. وأن شكره عليه، لا شكراً باللسان فحسب، بل شكراً مقروناً بالعمل وفي جميع وجوده^(٥٣).

فالعبادة عموماً متعلقة في أدائها بالإنسان، وهي من قبيل ما نلاحظه في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسِهِمْ يَمْهُدُونَ﴾^(٥٤)، فنفع هذه العبادة للإنسان ووبال تركها عليه أيضاً. (ولا يعاقب أحداً إلا بذنبه، ولا يعذب إلا بعد قيام الحجة عليه)^(٥٥)، فيها وضح من أساليب العبادة وطرقها.

٤. أن تكون العبادة عن إرادة ونية: الدنيا التي نعيش فيها وهذا الكون الرحب، كل ما فيه يُسبح بحمد الله تعالى ويخضع له، فالأرض والسماء وما فيها كل مستسلم لله تعالى خاضع له، إذ هو المبدع الواحد، فالعبادة غاية الوجود، قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(٥٦)، فكل الموجودات خاضعة لله {بمشيئتها أو بغيرها فهي جميعاً تحت سلطانه، وفي قبضته سبحانه، ولكن الإنسان لا يثاب على عبادته إلا إذا كانت مقرونة بإرادة وقصد، يقول القاسمي: (فالؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله، والكافر مستسلم له كرهاً، فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم الذي لا يخالف ولا يمانع)^(٥٧).

وبما أن العبادة في القرآن المجيد لها معنى واسع في الدين لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٥٨). فلا بد من تفاعل الإنسان مع هذه العبادة كاملاً نية وقولاً وعملاً.

فالواجب على كل إنسان مسلم أن يعلم أنه ما خلق إلا للعبادة، وأن وقته يجب أن يكون في عبادة، سواء ما كان في الشعائر التعبدية أو ما كان منه في المعاملات أو في سائر سلوكياته وأفعاله، لأن (السبيل الصحيح الوحيد هو أن تتحول كل الفعاليات الحياتية المختلفة في ظل القصد والنية إلى عبادة، وتمنح وجهة تكاملية، لكي لا تذهب

أي طاقة من طاقات الإنسان هدرًا^(٥٩)، وتكون بعيدة بذلك عن القرب إلى الله تعالى. قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: (لا عمل إلا بالنية)^(٦٠)، فلا يمكن أن تُقبل الأعمال ويثاب عليها الإنسان إلا إذا كان قاصداً بهذا العمل القربة إلى الله تعالى، بل إنَّ النية تكون أفضل من ذات العمل العبادي، وهذا ما نلاحظه في قول النبي صلى الله عليه وآله: (نية العبد خير من عمله)^(٦١)، ولعل سبب هذه الخيرية في النية هو كون النية سالمة من الرياء والشوائب الأخرى على فرض تحقق العمل، وأمّا عند عدم تحقق العمل العبادي فإنَّ الله سبحانه يثيب الإنسان على نيته بمقدار ذلك العمل العبادي الذي لم يقم به، لأنَّ المتقي ربما لا يتوفّق لأداء بعض الأعمال العبادية لظروف تحيط به، إمّا زمانية أو اجتماعية أو لتدخل الأعمال وما شاكل، فهنا يأتي دور النية الصالحة لتقوم مقام العمل، وليفوز الإنسان المتقي بثواب ما حُرّم من أذائه، قال الإمام علي عليه السلام: (إنَّ الله سبحانه يدخل بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة)^(٦٢)، وقال عليه السلام أيضاً: (من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه، وحق رسوله وأهل بيته، مات شهيداً ووقع أجره على الله، واستوجب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام أصلاته لسيفه)^(٦٣).

إذن النية تجعل من الأعمال المباحة أعمالاً عبادية يثاب عليها الإنسان إذا قصد من وراء هذا العمل القرب من الله تعالى وعبادته سبحانه، وتجعل النية العمل العبادي المنصوص عملاً يعاقب عليه الإنسان من الله تعالى ويطلبه، لما شاب هذا العمل من رياء أو نفاق وما شاكل ذلك.

٥. العبادة غاية وشمول: أن تكون عبادة الإنسان لله تعالى (في مقام الذلة والعبودية وتوجيه وجهه إلى مقام ربه)^(٦٤)، وطريقاً إلى العبادة بمعناها الشامل.

وهذا الشمول والخضوع لعظمة الله تعالى واستشعار إحاطته وقدرته لا يتحقق إلا في العبادة؛ لأنَّ (العبادة نوع من الخضوع بالغ حد النهاية ناشئ عن استشعار

القلب بعظمة المعبود مع الحب النفسي والفناء في جلال المعبود وجماله فناء لا يدانيه فناء مع الاعتقاد بسلطته له لا يُدرك كنهها وماهيتها، وقصارى ما يعرف عنها أنها محيطه به ولكنها فوق إدراكه، فهو لذلك يخضع للمعبود رهبة مما يقدر عليه من العقاب، وطمعاً فيما عنده من الخير، رغبة في كشف الضر عنه وحباً فيما أنعم عليه من إحسان^(٦٥). لذلك لا بد من شمول العبادة لكل مناحي الحياة المختلفة حتى تتحقق العبودية الكاملة لله تعالى، يقول فتحي يكن (ت ١٤٣١ هـ): (العبادة في الإسلام هي نهاية الخضوع وقمة الشعور بعظمة المعبود وهي مدارج الصلة بين المخلوق والخالق، كما أنها ذات آثار عميقة في التعامل مع خلق الله وتستوي في ذلك أركان الإسلام من صلاة وصوم وزكاة وحج وسائر الأعمال التي يبتغي بها الإنسان وجه الله ويتحرى شرعه ومنطق الإسلام يقتضي أن تكون الحياة كلها عبادة وكلها طاعة)^(٦٦).

فجميع نواحي الإنسان في هذه الحياة الغاية منها العبادة، وفي هذه الشمولية للعبادة وتنوعها والمقصد من ورائها، يقول السيد الشهيد محمد باقر الصدر: (هذا الشمول في العبادة يعبر عن اتجاه عام في التربية الإسلامية يستهدف أن يربط الإنسان في كل أعماله ونشاطاته بالله تعالى، ويجول كل ما يقوم به من جهد صالح إلى عبادة مهما كان حقله ونوعه، ومن أجل إيجاد الأساس الثابت لهذا الاتجاه وزعت العبادات الثابتة على الحقول المختلفة للنشاط الإنساني، تمهيداً إلى تمرين الإنسان على أن يسبغ روح العبادة على كل نشاطاته الصالحة، وروح المسجد على مكان عمله في المزرع أو المصنع أو المتجر أو المكتب، ما دام يعمل عملاً صالحاً من أجل الله سبحانه وتعالى)^(٦٧).

وهذا الشمول في العبادة يعم جميع نواحي الحياة، وإثما ليست محصورة في الشعائر التعبدية المعروفة، فكل عمل يقوم به الإنسان اتجاه أخيه الإنسان هو ضمن غاية الخلقة والوجود في هذه الحياة، وهذا ما نلاحظه في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ

الْحِنِّ وَالْإِنْسِ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٦٨﴾. يقول الرازي في هذه العبادة: (التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله، فإن هذين النوعين لم يخل شرع منهما)^(٦٩). قال ابن عاشور: (فهي بهذا التفسير تشمل الامتثال لأحكام الشريعة كلها)^(٧٠).

فالعبادة لا تنحصر بالشعائر التعبدية فحسب، بل إن مجال العبادة واسع يشمل جميع حركات الإنسان وسكناته، فليس الامتثال بالمأمور عبادة فقط، بل اجتناب ما نهى عنه الله تعالى عبادة أيضاً، فهي - العبادة - هيمنة كبرى (على الشعور والسلوك في منهج كامل للحياة، يشمل تصور الإنسان لحقيقة الإلوهية وحقيقة العبودية ولحقيقة الصلة بين الخالق والمخلوق)^(٧١)، وهذه المقتضيات اللازمة في بناء العبادة، وهي تبدو للباحث بمنزلة شروط مشتركة لجميع العبادات - لم نورد مما ذكر من مقتضيات الحصر والاستقصاء-^(٧٢)، فبتحقق هذه المقتضيات تتحقق غاية الوجود من الإنسان اتجاه خالقه من خلال العبادة الخالصة وعلى أساس محبة الله واستشعار فضله ونعمته وإحسانه ورحمته، فالله تعالى خلق الإنسان ووهبه العقل وعلمه البيان وارتضاه لخير دين وسخر له ما في السماوات والأرض جميعاً، وكرمه وفضله على كثير من خلقه، ورزقه من الطيبات واستخلفه في الأرض بعد أن خلقه من طين ثم من ماء مهين ثم نفخ فيه من روحه فكرمه وأسجد له ملائكته.

المطلب الثالث: أثر العبادة في تنمية الإنسان في المنهج القرآني:

إنَّ أجل الأعمال التعبدية التي يقوم بها الإنسان هو العمل على تحكيم شرع الله في الأرض، بحيث يحكم حياة الفرد والمجتمع والدولة. ومن هذه الرؤية الراشدة والتصور الواعي لحقيقة العبادة في الإسلام، لا يستطيع المسلم إلا أن يكون صاحب رسالة في هذه الحياة، وهذه الرسالة تتضمن في أن يكون الحكم لله وحده في جميع شؤون الحياة. إلا أنه من الضروري أن يبتعد الفرد عن التطرف والتعصب، فالإسلام لا يأخذ

بأموره على نحو التحجر والانغلاق، بل يعطي الأمور نسبة تتوازن وظروفه^(٧٣).
يقول الإمام محمد الباقر عليه السلام: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولا تُكْرَهُوا عبادة الله إلى عباد الله فتكونوا كالراكب المنبت الذي لا سفراً قطع ولا ظهراً أبقى)^(٧٤). ويفهم من الحديث الشريف أن العبادة ليست مما يأتي بها الإنسان جملة واحدة من غير تدرج، وأن لكل إنسان قدراً من التفاعل بالعبادة، فلا يمكن حمله على الازدياد إلا بقدر ما يعي ذلك الإنسان من مفهوم العبادة وأهدافها في الوصول إلى القرب الإلهي.

وبطبيعة الحال ليس المراد من السماحة عدم الحرج في التشريع الإسلامي وانتفاء أصل المشقة، لأن المشقة نوعان:

النوع الأول: مشقة معتادة لا تعتبر في العرف مشقة، فهذه ليست مقصود الشارع رفعها عن المكلفين؛ لأن أي عمل لا يخلو من مشقة، إذ لا مانع من وقوعها في التكاليف الشرعية، ولا يتحقق التكليف إلا بما فيه كلفة، وهي وسيلة لأداء العبادة، إذ ليست المشقة مقصودة لذاتها.

النوع الثاني: مشقة زائدة تضيق بها الصدور وتحتاج إلى جهود كبيرة قد تؤثر في صحة الإنسان، وعلى ماله وطريقة حياته، فينقطع عن كثير من الأعمال التي تنفع الفرد والمجتمع، وهذا النوع هو الذي أراد القرآن المجيد رفعه عن الإنسان تيسيراً له وتسهيلاً عليه، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٧٥). وهذه الآية الكريمة وإن كانت تدور حول موضوع الصيام، (لكن أسلوبها العام يجعلها قاعدة تشمل كل الأحكام الإسلامية، ويصير منها سنداً لقاعدة (لا حرج) المعروفة، هذه القاعدة تقول: لا تقوم قوانين على المشقة، وإن أدى حكم إسلامي إلى حرج ومشقة، فإنه يرفع مؤقتاً، ولذلك أجاز الفقهاء التيمم لمن يشق عليه الوضوء

والصلاة جلوساً لمن يشق عليه الوقوف^(٧٦).

ونلاحظ رفع الحرج أيضاً في قوله تعالى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٧٧)، يقول السيد الطباطبائي: (امتنان منه تعالى على المؤمنين بأنهم ما كانوا لينالوا سعادة الدين من عند أنفسهم وبحولهم غير أن الله منّ عليهم إذ وفقهم فاجتباهم وجمعهم للدين، ورفع عنهم كل حرج في الدين امتناناً، سواء كان حرجاً في أصل الحكم أو حرجاً طارئاً عليه اتفاقاً، فهي شريعة سهلة سمحة)^(٧٨).

وفي هذا الامتنان على الإنسان من رفع الحرج وغيره في العبادات دعوة إلى العبادة في الوقت نفسه وعدم قطع الصلة العبادية، مهما كان الظرف الذي يكون فيه الإنسان، فعليه أداء العبادة بقدر حاله وفهمه إياها (وليس للعبد أن ينقطع عن مولاه في حال، ولا للإنسان الضعيف أن ينقطع عن ناصره)^(٧٩).

والتشريع الإسلامي حينما وقف بالتكليف عند حدود طاقة العباد إنمّا راعى صالحهم فلم يتجاوز بهم إلى العنت، كي لا تتراكم آثار المشقة على النفس فتقعدها عن أداء ما كلفت به، ومن ثم تورثها البغض للتكليف.

ونلمس الساحة في العبادة في مجال التدرج فيها، وذلك لما كانت النفوس البشرية قد فطرت على معرفة الحق وقبوله غالباً، ولما كان انحرافها عن هذه المعرفة وعن هذا القبول هو من العوامل الخارجة عنها تغشاها وتطراً عليها، كان لا بد من تهيئة لهذه النفوس أولاً، حتى يتسنى لها دفع الركام والنهوض من بين أنقاض عوامل الفساد ومعاول الهدم التي تراكمت عليها طويلاً، وهذه التهيئة للنفس البشرية رعاها القرآن الكريم، إذ جاء الإسلام والناس في إباحة واسعة، يكرهون فيه كل ما يقيد حريتهم، ويحد من شهواتهم، وكانت قد تمكنت من نفوسهم عادات كثيرة وغرائز متنوعة، لا يستطيعون التحول عنها دفعة واحدة، فاقترضت الحكمة الإلهية إنزال القرآن منجماً وبحسب الوقائع والحاجات،

تهيئة للنفوس كي تكون مستعدة لقبول الأحكام، إذ لو كانت الأحكام تأتي جملة فجاءة لثقل عليهم ونفرت نفوسهم؛ لذلك وردت الأحكام التكليفية شيئاً فشيئاً ليكون السابق من الأحكام معداً للنفوس، ومهيئاً لقبول اللاحق، وكانت معظم الأحكام ينزل لسبب يقتضيه، فيكون أوقع في النفوس وأقرب إلى الانقياد.

ومن ذلك التدرج هو - كما يرى محمد رشيد رضا- تحريم الزنا إذ لم يحرم دفعة واحدة، وإنما عوض عنه بالزواج المؤقت، ف(تشريع المتعة هو من قبيل التدرج في تحريم الزنا كالتدرج في تحريم الخمر)^(٨١).

والتدرج في العبادات نلاحظه واضحاً في تاريخ تشريع العبادات المفروضة محل البحث، فهذه الفرائض لم تُشرع دفعة واحدة على رغم من أهميتها في بناء الإنسان - كما سوف يتضح -، فنجد أن مشروعية فريضة الصلاة كانت ملحوظة منذ أوائل البعثة النبوية^(٨١)، ولم تكن حينئذٍ بصفتها المعروفة فيما بعد، فقد تدرجت في عدد ركعاتها (إذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشياً)^(٨٢)، وفريضة الصوم كانت بعد مقدمه ﷺ إلى المدينة بسنة وخمسة أشهر^(٨٣)، بل نلاحظ أن هذه الفريضة - الصوم - مُهد إليها بصيام كان بمنزلة تمرين وتدرج قبل فرضها، إذ كان (الصوم في بداية التشريع واجباً تخييرياً، وكان المسلمون مخيرين بين الصوم والقدية، ثم نسخ هذا الحكم بعد أن تعود المسلمون على الصوم وأصبح واجباً عينياً)^(٨٤)، أما فريضة الزكاة فكان فرضها في السنة الثانية من الهجرة^(٨٥)، وفريضة الحج كانت في السنة السادسة للهجرة^(٨٦).

فالتدرج في التشريع ضروري في ترسيخ الأحكام التكليفية، وما يستفيد المرابي في هذا المجال هو العناية بالأطفال في القيام بالمهام العبادية والتدرج بهم؛ إذ إن الطفولة ليست مرحلة تكليف وإنما هي مرحلة إعداد وتدريب للوصول إلى مرحلة التكليف عند البلوغ، وأنّ (النواحي العبادية هي الأمور المهمة التي لا بد من أخذها بكل

اهتمام وجدية على طريق تكملة بناء الإنسان المسلم وتتم هذه الخطوة من طريق الوالدين والمربين، بأن يعودوا الطفل على ممارسة الأمور العبادية من صوم وصلاة، وما شابه ذلك، والغاية من ذلك تعويد الطفل وتمرينه على فعل العبادات والطاعات، وإن لم يدرك ما الفائدة منها، وما المنفعة المترتبة عليها، إلا أن ممارسته على فعلها مع تشجيعه عليها بحيث تصبح عادة لديه فلا تصعب عليه متى كبر وشب أن يؤدي صلاته، وحتى تصبح الصلاة وما فيها من فائدة جزءاً من تفكيره وسلوكه^(٨٧).

وذلك أن إهمال سبيل التدرج مما يصعب على الإنسان فيما إذا بلغ من أداء العبادات فتدخل في نفسه من العادات السيئة التي يشق عليه تركها، يقول السيد محمد حسين الطباطبائي: (لم يزل الناس بقريحتهم الحيوانية يميلون إلى لذائذ الشهوة فيشيع فيهم الأعمال الشهوانية أسرع من شيوع الحق والحقيقة، وانعقدت العادات على تناولها وشق تركها والجري على نواميس السعادة الإنسانية، ولذلك ان الله سبحانه شرع فيهم ما شرع من الأحكام على سبيل التدرج، وكلفهم بالرفق والإمهال)^(٨٨).

والحث على هذا التدرج في العبادة نلاحظه في سنة المعصوم وفي قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام إذ قال: (اجتهدت في العبادة وأنا شاب فقال لي أبي: يا بني دون ما أراك تصنع فإن الله إذا أحب عبداً رضي عنه باليسير)^(٨٩)، فهذا الدرس في التدرج يحثنا عليه الإمام المعصوم عليه السلام إذ (على الإنسان أن يراعي مراتب العبادة فلا يخوض الجاهل فيما يخوض فيه العالم، ويتعامل مع نفسه بالرفق والمدارة، ولا يحملها فوق طاقتها النفسية والجسدية وخاصة عند الشباب الأحداث الحديثي العهد بالمهمات، حيث لا ينجي فيها إلا الراشد المتعلم)^(٩٠).

ونلاحظ سماحة العبادات في قلة التكليف، إذ انمازت الشريعة الإسلامية من غيرها من الشرائع السماوية بقلة التكليف حتى يسهل على الأمة المكلفة الامتثال،

وحتى لا تقع المشقة والعنت، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِن بُدِّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ سَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّلْ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿٩١﴾.

الأقوال في سبب نزول هاتين الآيتين مختلفة في مصادر الحديث والتفسير، ولكن الذي ينسجم أكثر مع سبب نزول هاتين الآيتين ما جاء عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: (إن الله كتب عليكم الحج)، فقام عكاشة بن محصن وقيل سراقه بن مالك، فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثاً، فقال رسول الله: (ويحك ما يؤمنك أقول: نعم، والله لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، ولو تركتم لكفرتم، فاتركوني كما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه) (٩٢).

هكذا السباحة في العبادة بقلة التكليف وعدم المبادرة في السؤال، وهذا لا يعني عدم السؤال إطلاقاً وإنما الإحجام عن السؤال في تكاليف الدين التي لم يبينها الرسول صلى الله عليه وآله بعد، وإلا كان الجواب فيه مشقة وعناء ومن ثم تتحول العبادة عن أصل تشريعها وهو القرب من الله تعالى إلى وبال على الإنسان وكفر عند التقصير فيها، ومعنى الآية (إن أفتاكم بها وكلفكم إياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها، وذلك نحو ما روي) (٩٣).

فالإنسان العاقل يعبد الله سبحانه بما طلب وأمر منه من تكاليف العبادة التي شرعت له، وأن يلتزم بها من غير إفراط، وأن يعبد الله تعالى من حيث هو أراد فقط، وفي هذا المعنى يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (أمر إبليس بالسجود لآدم، فقال: يارب وعزتك إن أعفيتني من السجود لآدم لأعبدك عبادة ما عبدك احد قط مثلها،

قال الله جل جلاله: إني أحب أن أطاع من حيث أريد^(٩٤)، وأن على الإنسان أن لا يبادر بالسؤال عن العبادة ما لم يوح إلى الرسول ﷺ بها أو ينزل بها القرآن، يقول الرازي: (واعلم أن السؤال عن الأشياء وبها يؤدي إلى ظهور أحوال مكتومة يكره ظهورها، وربما ترتب عليه تكاليف شاقة صعبة، فأولى بالعاقل أن يسكت عما لا تكليف عليه فيه...، وأما السائل عن الحج، فقد كاد أن يكون ممن قال النبي ﷺ فيه (إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من كان سبباً لتحريم حلال)، إذ لم يؤمن أن يقول في الحج إيجاب في كل عام)^(٩٥).

وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى هذا المعنى في سماحة العبادات وقلة التكاليف في قوله: (إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها، وحد لكم حدوداً فلا تتعدوها، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها، وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكلفوها)^(٩٦). فهذه أمور تتعلق بالغيب، والغيب أمر خارج عن إرادة الإنسان، وهو غير مسؤول عنه، ولا نفع يعود منه على الإنسان، وأن السؤال المطلوب ما كان فيه إيهام أو إيهام أراد الكشف عنه المكلف، يقول سيد قطب: (ان المعرفة في الإسلام إنما تطلب لمواجهة حاجة واقعة وفي حدود هذه الحاجة الواقعة... فالغيب وما وراءه تصان الطاقة البشرية أن تقف في استجلائه واستكناها، لأن معرفته لا تواجه حاجة واقعية في الحياة البشرية، وحسب القلب البشري أن يؤمن بهذا الغيب كما وصفه العليم به، فأما حين يتجاوز الإيمان إلى البحث عن كنهه فإنه لا يصل إلى شيء أبداً، لأنه ليس مزوداً بالمقدرة على استكناها إلا في الحدود التي كشف الله عنها... فوق أنه ضرب في التيه بلا دليل، يؤدي إلى الضلال البعيد. وأما الأحكام الشرعية فتطلب ويسأل عنها عند وقوع الأقضية التي تتطلب هذه الأحكام.. وهذا هو منهج الإسلام)^(٩٧). وهكذا نلتمس بوضوح سماحة العبادة في المنظور القرآني، وأنها سهلة ميسرة قليلة

التكاليف مرفوعة الحرج والإرهاق مما يرسخ بناءها في نفس الإنسان، ويتشرب بها بجميع جوارحه قلباً وقلباً.

وهذا بطبيعة الحال - وكما تمت الإشارة إليه - لا يعني أن الإنسان يأتي بالعبادة كيف ما اتفق، وإنما تكون العبادة عن بينة ومعرفة، يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إنما يعبد الله من يعرف الله، أما من لا يعرف الله فإنها يعبده هكذا ضلالاً)^(٩٨)، ولذلك كان أئمة أهل البيت عليهم السلام يخطبون ويلومون المنجرفين من دون هدي وتسلح كاف في ممارسة العبادات... وهذا ما نلاحظه جلياً في قول الإمام علي عليه السلام: (ألا لا خير في عبادة لا فقه فيها، ألا لا خير في نسك لا ورع فيه)^(٩٩)، وقال أيضاً عليه السلام: (سكنوا في أنفسكم معرفة ما تعبدون حتى ينفعكم ما تحركون من الجوارح بعبادة من تعرفون)^(١٠٠).

وإن المؤسسات المعنية إذا حرصت (على فهم النصوص التشريعية في إطار التوجيه القرآني استطعنا أن نضع لمجتمعاتنا كثيراً من الحلول الممكنة لمشاكلها القائمة)^(١٠١)، أما إذا انحرفت عن التثقيف لهذه العبادات المعرفية، فإنها تفقد مكانتها المتميزة فيما يرغب إليه فيها من تحقيق الدعوة إلى سبيل الله تعالى، يقول الشيخ محمد مهدي الآصفي: (متى أخذ الخطاب الديني مساراً غير هذا المسار فقد قيمته، ولم يعد هذا الخطاب يمثل الناس ويعبر عن طموحات الناس، وبالضرورة لم يعد الناس الذين يعود لهم أمر هذا الخطاب يحترمونه ويثقون به، ويقفون معه)^(١٠٢).

وبهذا تكون النتيجة الحتمية لهذا الانحراف عن فهم معنى العبادة الصحيح أن يقع الإنسان في المحذور الذي نبه عليه الإمام علي عليه السلام في قوله: (يأتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من القرآن إلا رسمه، ومن الإسلام إلا اسمه، مساجدهم يومئذ عامرة من البنى، خراب من الهدى، سكانها وعمارها شر أهل الأرض، منهم تخرج الفتنة، وإليهم تأوي الخطيئة، يردون من شدّ عنها فيها، ويسوقون من تأخر عنها إليها)^(١٠٣).

الخاتمة:

تبلور من البحث المستخلصات الآتية التي لا أعدّها اكتشافات بل خلاصات معرفية.

- إنّ مفهوم العبادة ومصاديقها في المنهج القرآني ذو أفقٍ واسع، لا يقتصر على الطقوس العبادية، بل انفتح القرآن بها لتشمل سائر أنشطة الإنسان بحركاته وسكناته وخلقاته ونفسه وخواطر وجدانه، وسائر ما يتعلق بكيانه ووجوده الظاهري والباطني.

- وقف القرآن الكريم بالعبادة عند حدود طاقة الإنسان ووسعته ومُكنته، فلا عبادة في الإسلام توقع الإنسان في العنت أو الحرَج، اللذَيْن - بطبيعة الحال - يميلان به صوب التذمّر والتملل والتشاغل والكسل في أداء الفعل العبادي والنفور منه، وهذا ما قد يوقعه في الكره لتكاليف السماء والبغض لها - ولو في اللا شعور -.

- للعبادة في المنهج القرآني آثار ونتائج جمّة لا تنحصر في الأجر الأخروي أو الخروج من عهدّة التكليف الشرعي، بل إنّ لها انعكاسات وتجليات كثيرة في تنمية الإنسان وتطويره وتكامل حياته.

- اتّضح أنّ للعبادة في المنهج القرآني مقتضيات تنضبط بها وتتسق من خلالها، فهي وإن كانت نابعةً من رغبة العبد وشعوره بالعبودية إلا أنه ليس له أن يعبد ربه كيفما يشاء أو يشرع لنفسه عبادات وطقوساً من لدنه، بل الله تعالى المعبود هو الذي تكفّل بتشريعها وتنظيمها على أكمل وجه.

- تظهر الممارسة العبادية في المنهج القرآني فعلاً كونياً تتدرج في سلوكه سائر مخلوقاته سبحانه سواءً أكانوا ملائكة أم بشرًا، - جماداتٍ أو حيواناتٍ أو نباتاتٍ - .
والحمد لله رب العالمين

الهوامش:

- (١) سورة الذاريات: ٥٦.
- (٢) سورة الأعراف: ٥٩.
- (٣) سورة النحل: ٣٦.
- (٤) سورة الحجر: ٩٩.
- (٥) ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ١٢/١٦٦.
- (٦) روح المعاني: ٤/٤٤٢، وقد عالج المفسران (الألوسي والطباطبائي) ما ذهب إليه بعضهم فيما يسمونه بالكشف والشهود والحاصل عند اليقين والذي يسقط التكليف، وهو غريب في تفسيرهم لليقين، في كونه نهاية العبادة، وليس نهاية الدنيا!.
- (٧) سورة الأنبياء: ١٩ - ٢٠.
- (٨) سيد قطب، في ظلال القرآن: ٤/٢٣٧٢، ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ٧/٥٤.
- (٩) سورة الفرقان: ٦٣.
- (١٠) مفاتيح الغيب: ٢٤/٩٣.
- (١١) سورة مريم: ٣٠.
- (١٢) سورة آل عمران: ٥٥.
- (١٣) الرازي، مفاتيح الغيب: ١/٢٠٣، وظ: الألوسي، روح المعاني: ١٦/٥٤١.
- (١٤) سورة الإسراء: ١.
- (١٥) مفاتيح الغيب: ٢٠/١١٧، وقريب من هذا المعنى: أن النبي ﷺ لما خير بين أن يكون عبداً نبياً أو ملكاً نبياً، قال ﷺ: (بل أكون عبداً نبياً)، ظ: النسائي (ت٣٠٣هـ)، سنن النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت: ٤/١٧١، والطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن: ١٥/١٨.
- (١٦) مفاتيح الغيب: ١/٢٠٢.
- (١٧) سورة الحجر: ٣٩.
- (١٨) السورة نفسها: ٤٢.
- (١٩) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ١٢/١٤٣، وظ: الزمخشري، الكشف: ٢/٥٤٢.
- (٢٠) نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ٢٠/٢٥٥، وبلفظ (إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً، أنت كما أحب فاجعلني كما تحب). المجلسي، بحار الأنوار: ٧٤/٤٠٠.
- (٢١) سورة الأنبياء: ٢٥.
- (٢٢) سورة النساء: ١٧٢.

- (٢٣) ظ: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٣/ ٣٨٣.
- (٢٤) سورة النساء: ٥٩.
- (٢٥) روح المعاني: ٥/ ٨٦.
- (٢٦) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ٤/ ٣٤٠.
- (٢٧) المصدر نفسه: ٤/ ٣٥١.
- (٢٨) سورة محمد: ٣٣.
- (٢٩) التحرير والتنوير: ٢٦/ ١٠٧.
- (٣٠٢) سورة النجم: ٣، ٤.
- (٣١) الميزان في تفسير القرآن: ١٨/ ٣١٥.
- (٣٢) سورة الحشر: ٧.
- (٣٣) في ظلال القرآن: ٦/ ٣٥٢٥.
- (٣٤) سورة آل عمران: ٣١.
- (٣٥) الميزان في تفسير القرآن: ٣/ ١٣٩.
- (٣٦) مسلم. صحيح مسلم: ١/ ٦٧.
- (٣٧) البخاري، صحيح البخاري: ٦/ ٢٤٤٥.
- (٣٨) المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، كنز العمال، ١/ ٤١، والمجلسي، بحار الأنوار: ١٧/ ١٤.
- (٣٩) الكليني، الكافي: ٤/ ٦٠.
- (٤٠) سورة الشورى: ٢٣.
- (٤١) الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن: ٢٥/ ٣٢، وعلى ما جرى لآل النبي ﷺ في كربلاء، يقول الألويسي: (ولله تعالى در السيد عمر الهيتي أحد الأقراب المعاصرين حيث يقول:
بأية آية يأتي يزيد غداة صحائف الأعمال تتلى
وقام رسول رب العرش يتلو وقد صمت جميع الخلق (قل لا)،
روح المعاني: ٢٥/ ٤٥.
- (٤٢) معالم التنزيل في التفسير والتأويل، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م، ٥/ ٤٩.
- (٤٣) روح المعاني: ٢٥/ ٤٥.
- (٤٤) المصدر نفسه: ٢٥/ ٤٧.
- (٤٥) روح المعاني: ٢٥/ ٤٧.
- (٤٦) ظ: الزمخشري، الكشاف: ٤/ ٢٢٥، والرازي، مفاتيح الغيب: ٢٧/ ١٤٣، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٨/ ٤٣٥.

- (٤٧) ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣٧٤ / ٢٥ .
- (٤٨) سورة التوبة: ٢٤ .
- (٤٩) سورة آل عمران: ٩٧ .
- (٥٠) الطبرسي ، مجمع البيان: ٢ / ٢٦٥ .
- (٥١) نظرة عامة في العبادات، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط ٣، ١٩٨١م: ٣٩ .
- (٥٢) سورة النمل: ٤٠ .
- (٥٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٥٧ / ١٢ .
- (٥٤) سورة الروم: ٤٤ .
- (٥٥) ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم: ١٠٠ / ٤ ، وظ: الألوسي ، روح المعاني: ٥٢٣ / ٢٤ .
- (٥٦) سورة آل عمران: ٨٣ .
- (٥٧) محاسن التأويل: ٧١٥ / ٢ .
- (٥٨) سورة البقرة: ٢١ .
- (٥٩) محمد تقي مصباح اليزدي، العودة إلى الذات وبنائها من جديد، ترجمة: محمد علي تسخيري، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، المعاونة الثقافية، إيران ، ٢٠٠٩م: ص ٨٩ .
- (٦٠) المجلسي: بحار الأنوار: ٣٧ / ٨١ .
- (٦١) المصدر نفسه: ٦٧ : ٢١٠ .
- (٦٢) نهج البلاغة: ١٢ / ٤ .
- (٦٣) المصدر نفسه: ١٣٣ / ٢ .
- (٦٤) محمد حسين الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن: ٣٣٥ / ١٨ .
- (٦٥) عفيف طبارة، روح الصلاة في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م، ص ١٧، ظ: سعيد حوى، الإسلام، ص ٥٧ .
- (٦٦) ماذا يعني انتقائي للإسلام ، مؤسسة الرسالة، القاهرة ، ط ٢٤ ، ٢٠٠٠م ، ص ١٧ .
- (٦٧) نظرة عامة في العبادات، ص ٥٧ ، وظ: القاسمي ، محاسن التأويل: ٢١٥ / ١ ، د. وضحه السويدي، تنمية القيم الخاصة بهادة التربية الإسلامية لدى تلميذات المرحلة الإعدادية بدولة قطر (أصله أطروحة دكتوراه)، دار الثقافة، دولة قطر، ١٩٨٩م، ص ٧٨ .
- (٦٨) سورة الذاريات: ٥٦ .
- (٦٩) مفاتيح الغيب: ٢٠٠ / ٢٨ .
- (٧٠) التحرير والتنوير: ١ / ١٨٠ ، وظ: سيد قطب ، في ظلال القرآن: ١٩٤٣ / ٤ .
- (٧١) حسن القبانجي، شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام)، مؤسسة الاعلمي، بيروت،

٢٠٠٢م، ١/ ١٤، ظ: محمد قطب: مفاهيم ينبغي أن تصحح، دار الشروق، القاهرة، ط ٨، ص ١٧٣. (٧٢) يرى ابن عاشور أنّ (الخوف والرجاء) من مقتضيات العبادة كالحب، وقد ساق في ذلك أدلة، ظ: التحرير والتنوير: ١/ ١٨٠، وكذلك نلاحظ هذا المعنى في غريب ما ذهب إليه ابن تيمية الحراني (٧٢٨هـ) في قوله: (من عبد الله بالحُب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري)، العبودية، مطبعة المدينة، مصر، ١٩٥٨م، ص ٦٢. ولا يبدو للباحث أنّ (الخوف والرجاء) من مقتضيات العبادة لله تعالى، ولو في هذا المقام، إذ لا يُعبد الله تعالى هذين الأمرين، فهذا يخالف المقتضى الأول الخلوص - الإخلاص - في العبادة لوجهه سبحانه، فلا يُعتقد أن يتقرب إلى الله تعالى بنية الخوف والرجاء، بأن يقول أصلي الفرض كذا خوفاً من الله، بل بالقرب والحُب إليه سبحانه، وإلى هذا المعنى المختار ذهب الرازي، ظ: مفاتيح الغيب: ١/ ٢٠٢، والطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن: ١/ ٢٦، والعلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)، كتاب الألفين، مكتبة الألفين، الكويت، ١٩٨٥م، ص ١٣٨.

(٧٣) ظ: حسين علي المصطفى، فلسفة العبادة، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ١٠٨.

(٧٤) الكليني، الكافي: ٢/ ٨٧.

(٧٥) سورة البقرة: ١٨٥.

(٧٦) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١/ ٣٧٢.

(٧٧) سورة الحج: ٧٨. وبالمعنى نفسه، تنظر: سورة النساء: ٢٨.

(٧٨) الميزان في تفسير القرآن: ١٤/ ٣٥٤.

(٧٩) نفس المصدر.

(٨٠) تفسير المنار: ٥/ ١٣، ويرى الباحث أنّ هذا التدرج لا يصح لأن آيات التحريم القاطع للزنا قد نزلت في مكة قبل الهجرة، وهو في سورة النور وفي قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهَدَ عِدَاهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، والإباحة في زواج المتعة كان في سورة النساء المدنية وفي قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا تَرَاضِيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، للتوسعة ظ: المقداد السيوري، كنز العرفان في فقه القرآن، ص ٥٠٦، وروى الطبري عن شعبة عن الحكم قال: سألته عن هذه الآية أمسوخة هي؟ قال: لا، قال الحكم: قال علي (٠): لولا أن عمر (٠) نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي، جامع البيان عن تأويل القرآن، ٥/ ١٩.

(٨١) ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٢/ ١٩.

(٨٢) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٤/ ٦٢، ظ: محمد الخضري بك، تاريخ التشريع

- الإسلامي، دار القلم، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٣٦. وكذا نستدل على هذا التدرج بحديث الإمام جعفر الصادق عليه السلام المستشهد به على مشروعيته ص ١٤٤.
- (٨٣) ظ: اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ) أحمد بن إسحاق بن وهب، تاريخ اليعقوبي، دار الزهراء، قم، ١٤٢٩هـ، ٢/٢٨.
- (٨٤) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١/٣٦٦.
- (٨٥) ظ: نفس المصدر، ٤/٣٣١.
- (٨٦) ظ: محمد الخضري بك، تاريخ التشريع الإسلامي، ص ٤٢.
- (٨٧) سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٩٧م، ص ٢٦٥.
- (٨٨) الميزان في تفسير القرآن: ٢/٢٢٠.
- (٨٩) الكليني، الكافي: ٢/٨٧.
- (٩٠) حسن علي المصطفى، فلسفة العبادات: ١٠٨.
- (٩١) سورة المائدة: ١٠١، ١٠٢.
- (٩٢) الطبرسي، مجمع البيان: ٣/٣٤١.
- (٩٣) الزمخشري، الكشاف: ١/١٧٦.
- (٩٤) المجلسي، بحار الأنوار، ٢/٢٦٢.
- (٩٥) مفاتيح الغيب: ١٢/٨٨.
- (٩٦) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٤/٢٤، ظ: المجلسي، بحار الأنوار: ٢/٣٦٠.
- (٩٧) في ظلال القرآن: ٢/٩٨٧.
- (٩٨) الكليني، الكافي: ١/١٨٠.
- (٩٩) المصدر نفسه: ١/٣٦.
- (١٠٠) المجلسي، بحار الأنوار: ٧٥/٦٣.
- (١٠١) د. محمد فاروق النهان، المدخل للتشريع الإسلامي، دار القلم، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٨٦.
- (١٠٢) الخطاب الديني: ٩.
- (١٠٣) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٤/٨٨.

المصادر والمراجع :

- خير ما نبدأ به: القرآن الكريم
- ✽ الألويسي (ت ١٢٧٠هـ) أبو الفضل شهاب الدين البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ✽ البخاري (ت ٢٥٦هـ) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م.
- ✽ البغوي (ت ٥١٠هـ) محمد الحسين بن مسعود الفراء، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م
- ✽ البيضاوي (ت ٧٩١هـ) ناصر الدين أبي سعيد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٩٠م.
- ✽ ابن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، العبودية، مطبعة المدينة، مصر، ١٩٥٨م،
- ✽ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ✽ حسن القبانجي، شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام)، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠٠٢م
- ✽ حسين علي المصطفى، فلسفة العبادة، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٦م
- ✽ الحلبي العلامة (ت ٧٢٦هـ)، كتاب الألفين، مكتبة الألفين، الكويت، ١٩٨٥م
- ✽ الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٣، ٢٠٠٩م.
- ✽ الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) أبي القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢، ٢٠٠١م.
- ✽ سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٩٧م،
- ✽ سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ٣٤، ٢٠٠٤م.
- ✽ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان، مكتبة دار المجتبي، النجف الأشرف، ٢٠٠٩م.
- ✽ الطبري (ت ٣١٠هـ) أبي جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دت).
- ✽ الطوسي (٤٦٠هـ) أبو جعفر محمد بن الحسن، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٦م.
- ✽ عفيف طبارة، روح الصلاة في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م
- ✽ فتحي يكن (ت ١٤٣١هـ)، ماذا يعني انتمائي للإسلام، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ٢٤، ٢٠٠٠م
- ✽ القاسمي (ت ١٩١٤م) محمد جمال الدين، محاسن التأويل، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ✽ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) أبي الفداء عماد الدين الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار صبح،

- بيروت، ط ٤، ٢٠٠٧م.
- ✽ الكليني محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣هـ ش.
- ✽ المجلسي (ت ١١١١هـ) محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: محمد تقي اليزدي، محمد باقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٩٨٣م.
- ✽ محمد الخضري بك، تاريخ التشريع الإسلامي، دار القلم، بيروت، ١٩٨٣م
- ✽ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، (د.ت).
- ✽ محمد باقر الصدر، نظرة عامة في العبادات، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط ٣، ١٩٨١م
- ✽ محمد تقي مصباح اليزدي، العودة إلى الذات وبنائها من جديد، ترجمة: محمد علي تسخيري، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونة الثقافية، إيران، ٢٠٠٩م.
- ✽ محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب العربي، بغداد، ٢٠٠٩م.
- ✽ محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)، الوحي المحمدي، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٨م.
- ✽ محمد عبده، شرح نهج البلاغة، دار الذخائر، قم، ١٤١٢هـ.
- ✽ محمد فاروق النبهان (الدكتور)، المدخل للتشريع الإسلامي، دار القلم، بيروت، ١٩٧٧م
- ✽ محمد قطب، مفاهيم ينبغي أن تصحح، دار الشروق، القاهرة، ط ٨.
- ✽ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥م.
- ✽ النسائي (ت ٣٠٣هـ)، سنن النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ✽ وضحه السويدي (الدكتور)، تنمية القيم الخاصة بإادة التربية الإسلامية لدى تلميذات المرحلة الإعدادية بدولة قطر (أصله أطروحة دكتوراه)، دار الثقافة، دولة قطر، ١٩٨٩م
- ✽ اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ) أحمد بن إسحاق بن وهب، تاريخ اليعقوبي، دار الزهراء، قم، ١٤٢٩هـ.

